الدراسة المعجمية للمصطلح

د. مصطفى اليعقوبي*

1- معنى "الدراسة المعجمية للمصطلح".

2- ضرورة الدراسة المعجمية.

3- مصادر الدراسة المعجمية.

1.3- المعاجم اللغوية وما في حكمها.

2.3- المعاجم الاصطلاحية وما في حكمها.

4- شروط الدراسة المعجمية.

1.4- الاستيعاب:

1.1.4- الاستيعاب المصدري.

2.1.4- الاستيعاب المعنوي.

3.1.4- الاستيعاب الفكري.

2.4- التدرج:

1.2.4- التدرج الزمني.

2.2.4- التدرج الدلالي.

3.4- التكامل.

4.4- الاقتصار على ما يفي بالحاجة.

5.4- التوثيق.

5- من مشاكل الدراسة المعجمية.

---

* أستاذ بكلية الآداب ـــ وجدة.

1 ــ معنى الدراسة المعجمية للمصطلح:

هي «دراسة معنى المصطلح»[1] لغة واصطلاحا اعتمادا على المعاجم اللغوية وما في حكمها، فالاصطلاحية وما في حكمها.

وتراعي فيها شروط وضوابط سيأتي بعضها في العنصر الرابع من هذا العرض.

وتمثل الدراسة المعجمية الركن الثاني من أركان منهج الدراسة المصطلحية، والعرض المصطلحي.

وحفظ رتبتها واستيفاء شروطها أمران حتميان؛ إذ بهما تتحقق منهجية المنهج، وعلمية الدراسة المصطلحية، وصحة النتائج.

2 ــ ضرورة الدراسة المعجمية:

لا جدال في ضرورة الدراسة المعجمية للمصطلح، وضرورتها ليست وليدة اليوم؛ فعلماؤنا القدماء كانت لهم عناية بها لا تخفى على متصفح مصادر التراث العربي الإسلامي، فما هي وجوه ضرورتها بالنسبة لدارس المصطلح الآني؟

---

[1] ــ نظرات في المصطلح والمنهج ص: 23. وذكر الأستاذ الشاهد البوشيخي في المصدر نفسه: "الدراسة المعجمية" ويقصد بها دراسة معنى المصطلح في المعاجم اللغوية فالاصطلاحية: دراسة تبتدئ من أقدمها مسجلة أهم ما فيه، وتنتهي بأحدثها مسجلة أهم ما أضاف، دراسة تضع نصب عينيها علام مدار المادة اللغوية للمصطلح، ومن أي المعاني اللغوية أخذ المصطلح، وبأي الشروح شرح المصطلح؛ وذلك لتمهيد الطريق إلى فقه المصطلح وتذوقه، وليسهل تصحيح الأخطاء التي قد يكون جلبها الإحصاء».(ص23 ــ 24).

انظر أيضا: مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبين للجاحظ ص: 16،ومصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين ص: 29. وذكر بعضها الآخر في قوله: «تحديد المعاني الكبرى للمصطلح الأهم في المعاجم، تحديدا يحرص ما أمكن على تقديم الحسي من المعاني على العقلي، والوضعي على المجازي، واللغوي على الاصطلاحي، وما هو الأصل على ما هو الفرع، وينتقي من الشروح أدقها وأجمعها وأقدمها». (مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان و التبين للجاحظ: 18). « ولا يكاد يعنى بغير ما يظن أن منه. عند الاصطلاح. كان الأخذ» (مصطلحات النقد العربي:13).

1.2- إن بين المصطلح وأصله اللغوي وجوها من المناسبة وهذه لا تنقطع باكتساب اللفظ لدلالته الاصطلاحية، والصلة بين الدلالتين اللغوية والاصطلاحية قد تكون ظاهرة كما في مصطلح (النقد) مثلا؛ فالخيط الرفيع الواصل بين دلالته كامن في التمييز المصرح به فيهما، وقد تكون خفية كما في الشِّعر والشَّعر، إذ يلحظ فيهما طرف خفي هو معنى الدقة والخفاء(1).

2.2 ــ حاجة الدارس إلى ما يعين على الدخول إلى عالم المصطلح المدروس والاستئناس به. وذلك مدخل إلى تفهمه وفقهه، وتصحيح ما تعلق من الخطأ في إحصائه.

3.2- استصحاب جهود السابقين من ذوي التخصص في العلم المدروس مصطلحاته؛ وهنا تمس الحاجة إلى الاطلاع على الشروح أو التعريفات السابقة للمصطلح المدروس والمعاصرة له. ولهذا الاستصحاب فائدتان:

أ- تفهم المصطلح أكثر، بعدم الاقتصار على الدراسة المعجمية اللغوية. ويحذر في ذلك الاستصحاب الإسقاط.

ب- المقارنة والموازنة المؤديتان إلى تصحيح التعريف أو نقده أو تأكيده، وهذا يقوي ملكة النقد لدى الدارس المصطلحي في مجال تخصصه العلمي.

3- مصادر الدراسة المعجمية:

تتمثل مصادر الدراسة المعجمية في المعاجم اللغوية وما في حكمها، والاصطلاحية وما في حكمها.

والمعاجم اللغوية منها قديم وحديث، وما في حكمها يشتمل على كتب الفروق اللغوية وكتب شرح الحديث والشعر، وتفسير القرآن الكريم.

والمعاجم الاصطلاحية منها أيضا قديم وحديث، وما في حكمها يتمثل في كتب العلوم ذات القيمة المصطلحية الكبرى مثل مقدمة ابن الصلاح في علم مصطلح الحديث الشريف، وبعض مصادر البلاغة العربية المتأخرة، وبعض كتب الحدود في النحو والأصول والفقه... الخ.

---

[1] ــ انظر مصطلح الشعر في كتاب "مصطلحات النقد العربي للأستاذ د. الشاهد البوشيخي ص:99.

وتتفاوت مصادر الدراسة المعجمية في الأهمية:

1- فالمعاجم المتأخرة أوفاها مادة مثل (تـــاج العـــروس) في اللغويـــة و(كشـــاف اصطلاحات الفنون) في الاصطلاحية.

2- ومقاييس اللغة لابن فارس متميز بعنايته بمعنى أو معاني المادة اللغوية.

3- وأساس البلاغة للزمخشري يتميز بعنايته بالمعاني المجازية.

4- والمفردات في غريب القرآن للراغب يتميز بتعريفاته وشروحه الوافية الدقيقة.

5- والقاموس المحيط للفيروزابادي يتميز بقرب مأخذه و ويسر الوصول إلى المطلوب منه.

6- وكتب التخصص ذات القيمة المصطلحية تدني البؤرة من التخصص المـــدروس مصطلحه.

4- شروط الدراسة المعجمية للمصطلح:

لكي تكون الدراسة المعجمية للمصطلح منهجية في منطلقها وســـيرها، علميـــة في نتائجها وثمارها، لابد من توافر الشروط الآتية، وهي: الاستيعاب، والتـــدرج، والتكامـــل، والحاجة، والتوثيق.

1.4- الاستيعاب: ومن صوره:

1.1.4- الاستيعاب المصدري: ومعناه أن يعتمد الدارس على مصادر الدراسة المعجمية بقدر الإمكان، لا يهمل منها مصدرا، ولا يغلب منها مصادر اتجاه على مصادر اتجاه آخر؛ كأنه يعتمد على ما كان منها أوفى مادة كتاج العروس، أو على ما كان منها مختصرا بميزة ويهمل غيره مما اختص بميزة أخرى. مثال ذلك «مقاييس اللغة لابن فارس الذي يتميز بعنايته بمعنى المادة. و« أساس البلاغة» للزمخشري الذي يمتاز بذكر المعاني المجازية والكنائية، و«مفردات غريب القرآن» للراغب الأصفهاني الذي يتميز بشروحه الدقيقة وتعريفاته «المستوعبة»، و«القاموس المحيط» الذي يعرف بقرب مأخذه ويسر الوصول إلى المطلوب منه.

2.1.4- الاستيعاب المعنوي: ومعناه ألا يهمل الدارس معنى من المعاني التي يظن أن منها أخذت المعاني الاصطلاحية للمصطلح الواحد المتعدد في الدلالة المختلف في الاستعمال،

ومن الأمثلة الموضحة لهذه الصورة مصطلح (البيان)، فقد يكون ـ وهو كائن ـ دالا على أكثر من معنى في نصوصه، فلابد من استيعاب التعدد المعنوي للمصطلح في ركن الدراسة المعجمية له.

إن «أظهر معاني (البيان) وأكبرها» في (البيان والتبين) للجاحظ أربعة «ترد إلى الإظهار، أو إلى ما به يتم»، وهي:

- توضيح المعنى، والكشف عنه كشفا يجعل السامع يفضي إلى حقيقته بسهولة (...) وهذا المعنى المصدري.

- ما به يتم توضيح المعنى والكشف عنه كشفا يجعل السامع يفضي إلى حقيقته، أو بتعبير أخصر هو الدلالة المبينة، وهذا المعنى الاسمى العام.

- المنطلق الفصيح الموضح للمعنى توضيحا يجعل السامع يفضي إلى حقيقته بسهولة (...) وهذا المعنى الاسمى الخاص.

صناعة الكلام المبين، منطوقا كان أم مكتوبا، ونثرا كان أم شعرا. وإذا رجعنا إلى الدراسة المعجمية لمصطلح (البيان) وجدنا معانيه المستفادة من مصادرها المعتمدة مستقصاة مبينة بأوجز عبارة، هي قول أ.د. الشاهد البوشيخي:«للبيان في المعاجم عدة معان، مردها ـ عند التأمل ـ إلى ثلاثة: الظهور، والإظهار، وما به يتم ذلك»[1].

3.1.4- الاستيعاب الفكري لكل عناصر المعنى الكلي للمادة انطلاقا من شروح وتعريفات الألفاظ المختلفة المنتهية إلى نفس المادة.

ولعل هذا النوع من الاستيعاب خليق بأن يقف الدارس المصطلحي على عدم كفاية «مقاييس اللغة» لابن فارس في هذا الباب، ويظن بأن السير في هذا الاتجاه يمكن أن يغني (المقاييس) وأن يتم ما قد يكون بها من نقص في الاستيعاب.

2.4- التدرج:

ويتمثل في وجوب تقديم ما حقه التقديم وتأخير ما حقه التأخير. وله وجوه أهمها:

[1] ـ مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبين للجاحظ ص:112.

1.2.4- التدرج الزمني: فيبدأ من أقدم مصادر الدراسة المعجمية بتسجيل أهم ما فيه، وينتهي بأحدثها بتسجيل أهم ما أضاف[1]. ومن شأن هذا التدرج أن يصور لنا واقع اللفظ المدروس في المعاجم وما في حكمها تصورا صحيحا أو مقاربا للصحة يتبين به ما للسابق وما اللاحق. ولا يخالف عن قاعدة التدرج الزمني إلا إذا كان ما في أحد المعاجم، متقدما كان أو متأخرا، أو في غيرها وأدق.

ففي هذه الحالة يكتفي بإيراد ما فيه مع الإحالة في الهامش على غيره.

2.2.4- التدرج الدلالي: وذلك بالسير مع دلالة المصطلح في الاستنباط والتصنيف والعرض على النهج الآتي:

- المعنى الحسي فالعقلي.
- المعنى الوضعي فالمجازي.
- المعنى اللغوي فالاصطلاحي.
- المعنى الأصلي فالفرعي[2].

- المعنى العام فالخاص، ومن أمثلة هذا مصطلح (الفحل)، فقد شرح في بعض المعاجم اللغوية بما يلي:

- «الذكر المستفحل» (الجمهرة).

- «الفحل من كل شيء، وهو الذكر الباسل... والعرب تسمي سهيلا: الفحل، تشبيها له بفحل الإبل، لاعتزاله النجوم، وذلك أن الفحل إذا قرع الإبل اعتزلها» (مقاييس اللغة).

- «الذكر من كل حيوان» (اللسان).

- «القوي من ذكور الإبل» (الكليات).

فهناك تدرج دلالي من العموم إلى الخصوص؛ أي من الذكر المستفحل أو الباسل من كل شيء، إلى الحيوان إلى ذكور الإبل.

---

[1] ـ نظرات في المصطلح والمنهج ص: 23.

[2] ـ مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبين للجاحظ ص:18.

مثال آخر: المعاظلة:

- في ركوب الشيء بعضه بعضا (الجمهرة).

- تخصيص بالكلاب والجراد (الصحاح، واللسان، والتاج).

3.4- التكامل:

فمصادر الدراسة المعجمية يكمل بعضها بعضا، ومن مظاهر التكامل: أن يكون في بعضها تعميم وفي بعضها تخصيص، أو يكون فيه معنى حسي أو وضعي أو لغوي، وفي غيره معنى عقلي أو مجازي أو اصطلاحي.

ومن دواعي التكامل أن تلك المصادر مختلفة متنوعة على ما مضى في العنصر الثالث من هذا العرض، فالتعويل على بعضها دون الباقي من شأنه أن يذهب بخير كثير.

ومن ثمراته وفوائده: تصحيح بعض العبارات المضطربة؛ فقد ورد في (جمهرة اللغة) لابن دريد في تعليل إطلاق الفحل على سهيل: «لاعتزاله وعظمه عن النجوم». وفي (تاج العروس) للزبيدي: «... لاعتزاله النجوم... وقيل: سمي به لعظمه.» فقد ظهر من عرض هذا على هذا ما في عبارة (الجمهرة) من الاضطراب والله أعلم.

4.4- الاقتصار على ما يفي بالحاجة: وهذا من الضوابط الأساسية للدراسة المعجمية، وقد صدق من قال: ما لا يحتاج إليه يستغنى عنه. فلا يزاد على ما يفي بحاجة المصطلح المدروس ولا ينقص منه. ومن شأن التقيد بهذا الشرط أن يجنب الدراسة شر حدين مذمومين: الحشو والإخلال. ولله در القائل عن شروح المصطلح في المعاجم: «ينتقي من الشروح أدقها وأجمعها وأقدمها، ولا يكاد يعنى بغير ما يظن أن منه أم من بعضه أخذت الدلالة الاصطلاحية»(1).

5.4- التوثيق: ويستوجب الأمانة في النقل؛ فلا يتصرف في النص بأي وجه من وجوه التصرف المخلة، وتشكل الألفاظ شكلا دقيقا. ويوضع ما يدل على الحذف حيث يكون الحذف، ويحرص ما أمكن على نسبة الكلام إلى صاحبه.

---

(1) ـ مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبين للجاحظ ص:18.

5- من مشاكل الدراسة المعجمية للمصطلح:

مشاكل الدراسة المعجمية ناتجة في مجملها عن الإخلال بشرط من الشروط السابقة أو بها كلها.

ومن المشاكل التي أمكن الوقوف عليها في بحوث الدراسة المصطلحية في مستوى الإجازة:

1.5- إيراد المعاني المختلفة للمصطلح في المعاجم، مع أن معناه في النصوص المدروسة يتعلق بواحد منها فقط، مثال: الهجاء، القراءة، الذم، (اللسان/ هجو).

2.5- إيراد ما لا علاقة به بالمطلوب وإهمال ما هو المطلوب، ومن صوره:

1.2.5- أن يكون للمصطلح معنيان في الاصطلاح، فيورد الباحث منهما ما لا علاقة له بالمعنى المقصود في النص المدروس، مثاله: (الاستعارة) إذا وردت بمعناها البياني المعروف، فلا معنى لإيراد المعنى الآخر لها الذي ينتمي إلى باب نقدي هو باب الأخذ والسرقة كما هو في قول ابن عبد ربه في: « لم تزل الاستعارة قديمة تستعمل في المنظوم والمنثور، وأحسن ما تكون أن يستعار المنثور من المنظوم، والمنظوم من المنثور. وهذه الاستعارة خفية لا يؤبه بها لأنك قد نقلت الكلام من حال إلى حال».(العقد الفريد: 3/ 420).

2.2.5- أن يخرج الدارس من علم إلى علم، فيورد في درس "الفواصل" الفصل في اصطلاح علم القوافي؛ وهو كل تغيير اختص بالعروض و لم يجز مثله في حشو البيت. وهذا إنما يكون في إسقاط حرف متحرك فصاعدا». (القاموس / فصل).

أو يورد (الفاصلة) في العروض (الصغرى والكبرى). ونفس الشيء يقال عن التضمين المنطقي، والعروض، والبديعي، واللغوي.

3.5- الخلط بين مصطلحين يتفقان في الحروف ويختلفان في حركة أحد الحروف. مثاله: الخطل و الخطل؛ فقد يشرح الخطل بما شرح به الخطل. وهذا يقع كثيرا، وخصوصا إذا كان المعجم غير مشكول أو عرضت للدارس عوارض من التعب والغفلة وعدم الانتباه. قيل في شرح (الخطل) « الخطل: المنطق الفاسد (المقاييس)، والمضطرب (أساس البلاغة)، والكلام الفاسد الكثير (القاموس المحيط)». وإذا رجعنا إلى المعاجم المنقول عنها نتبين أن ما نسب إلى (أساس البلاغة) ليس هو شرح (الخطل) وإنما هو شرح (الخطِل)، بكسر الطاء، فقد ورد فيه ما

يلي:« رمح خطِل، مضطرب... ومنطق خطِل: مضطرب» ولم يرد فيه شرح للخطل بالاضطراب.

4.5- الخلط بين معنيين: اسمي ووصفي للمصطلح. مثال ذلك أن يكون مصطلح (الحشو) المطلوب تعريفه اسمي الدلالة، وهو اللفظ الزائد لا يحتاج إليه، يؤتى به مثلا لإقامة الوزن. ففي هذه الحالة لا معنى لشرح الحشو بقولهم: «ملء الوسادة وغيرها بشيء، وما يجعل فيها حشو أيضا». (القاموس /حشو).

5.5- الخلط بين دلالتي الجمع والإفراد للفظ الواحد؛ مثاله (الفحولة)؛ فهو يدل على معنيين:

أ- معنى مفرد الفحول، وهو الفحل المعروف؛ قال الفيروزابادي: «الفحل الذكر من كل حيوان ج: فحول وأفحل وفحال وفحولة» وزاد ابن منظور «فحالة» بكسر الفاء.

ب- الصفة التي إذا اتصف بها الجمل أو الحيوان أو الشاعر أو النجم المعروف (سهيل) كان فحلا، قال ابن منظور: «رجل فحيل: فحل، وإنه لبيِّن الفُحولة والفِحالة والفِحلَة» (اللسان/ فحل).

6.5- التصرف في النص بأي وجه من وجوه التغيير كالحذف والزيادة وتبديل كلمة بكلمة. وكل ذلك إما أن يكون في أول النص أو في وسطه أو في آخره. ولكل صورة من هذه الصور من التصرف مثال.

7.5- إيراد نص لا تعريف فيه ولا شرح. مثال ذلك أن يورد الدارس لمصطلح (البيت) الشعري قال الفيروزابادي: «البيت من الشعر والمدر مجموعة أبيات وبيوت، جمع الجمع أبايت وبيوتات وأبياوات، وتصغيره بُيَيْت ولا تقول، بُوَيْت.» (القاموس/ بيت).

ومشاكل الدراسة المعجمية لا حصر لها، وصورها الجزئية لا يأتي عليها العد والإحصاء. والضابط فيها الإخلال بأحد شروطها أو بشروطها كلها.

المصادر:

ـــ مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين (قضايا ونماذج) دار القلم ، الطبعة الأولى: 1413 ـ 1993 م .

ـــ مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبين للجاحظ ، الدكتور الشاهد البوشيخي ، دار الآفاق الجديدة بيروت . الطبعة الأولى : 1402هـ ـــ 1982م .

ـــ نظرات في المصطلح والمنهج، الدكتور الشاهد البوشيخي. طبع: مطبعة أنفو ـــ برينت. الطبعة الأولى 2002.